بسم الله الرحمن الرحيم

التَّمَسُّكُ بِالْأَمَلِ وَالِاجْتِهَادُ فِي الْعَمَلِ وَقْتَ الْأَزَمَاتِ ٣ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٤٥هـ

عِبَادَ اللهِ: مَعَ مَا يُعَانِيهِ إِخْوَانُنَا فِي غَزَّةَ الْجَرِيحَةِ بَلِ الْمُدَمَّرَةِ، مِنْ دِمَائِهِمُ الْمُرَاقَةِ، وَأَشْلَائِهِمُ الْمُمَزَّقَةِ، وَمَسَاجِدِهِمْ وَبُيُوتِهِمُ الْمُدَمَّرَةِ، وَمُسْتَشْفَيَاتِهِمُ الْمُهَدَّمَةِ، وَمَعَ مَا يُعَانُونَهُ مِنْ دَكِّ هَذَا الْعَدُوِّ الصُّهْيُونِيِّ الْغَاشِمِ بِأَحْدَثِ الْأَسْلِحَةِ، وَأَشَدِّهَا فَتْكًا، مَعَ كُلِّ هَذَا الَّذِي تَتَقَطَّعُ مِنْهُ الْأَكْبَادُ، وَتَحْزَنُ لَهُ الْقُلُوبُ، بَيْدَ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ نَعِيشَ الْأَمَلَ وَالتَّفَاؤُلَ؛ فَمَعَ حَوَالِكِ الْكُرُوبِ، وَمَعَامِعِ الْخُطُوبِ، وَمُدْلَهِمَّاتِ الدُّرُوبِ، تَشْرَئِبُّ نُفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِشْرَاقَاتِ النَّصْرِ، وَتَتَطَلَّعُ لِلْفَرَجِ، فَكَمْ مِنْ أُمَّةٍ قَوِيَتْ بَعْدَ ضَعْفٍ، وَنَهَضَتْ بَعْدَ خُمُودٍ، وَقَدْ وَعَدَ اللهُ ﷻ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّمْكِينِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَدْعُو اللهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ». هَكَذَا عَدَلَ ﷺ إِلَى تَسْلِيَتِهِمْ بِمَنْ مَضَى مِمَّنْ قَبْلَهُمْ، وَلَكِنْ وَعَدَهُمْ بِالنَّصْرِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْتَلِي عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ لِحِكْمَةٍ، فَيَصْبِرُ الْمُؤْمِنُ وَيَرْضَى؛ رَغْبَةً فِيمَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلصَّابِرِينَ الرَّاضِينَ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». وَعِنْدَ الِابْتِلَاءِ يَتَبَيَّنُ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: وَقَوْلُهُ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللهَ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَابُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي الْبَلَاءِ». وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾، وَمِثْلُهَا فِي سُورَةِ «بَرَاءَةٌ»، وَقَالَ فِي الْبَقَرَةِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾؛ وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ أَيِ: الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَاهُمُ الْإِيمَانَ مِمَّنْ هُوَ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ وَدَعْوَاهُ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ. وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ فِي مِثْلِ: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: إِلَّا لِنَرَى؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرُّؤْيَةَ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَوْجُودِ، وَالْعِلْمُ أَعَمُّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، فَإِنَّهُ [يَتَعَلَّقُ] بِالْمَعْدُومِ وَالْمَوْجُودِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَفْعَلُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ الِابْتِلَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفَوَائِدُهُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: اسْتِخْرَاجُ عُبُودِيَّةِ الضَّرَّاءِ، وَهِيَ الصَّبْرُ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

الثَّانِي: تَكْفِيرُ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ، حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ».

الثَّالِثُ: رَفْعُ الدَّرَجَاتِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ السُّلَمِيِّ ﷺ، أَنَّهُ خَرَجَ زَائِرًا لِرَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ، فَبَلَغَهُ شَكَاتُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَتَيْتُكَ زَائِرًا عَائِدًا وَمُبَشِّرًا، قَالَ: كَيْفَ جَمَعْتَ هَذَا كُلَّهُ؟ قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ زِيَارَتَكَ، فَبَلَغَتْنِي شَكَاتُكَ، فَكَانَتْ عِيَادَةً، وَأُبَشِّرُكَ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ».

الرَّابِعُ: يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ النَّعِيمِ فِي الْآخِرَةِ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ».

الْخَامِسُ: النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ وَعْكٍ كَانَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبْشِرْ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي، أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا؛ لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ».

السَّادِسُ: تَمْحِيصُ الْمُؤْمِنِينَ، وَاتِّخَاذُ الشُّهَدَاءِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَسْبَابًا، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: التَّضَرُّعُ وَالرُّجُوعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى. فَإِنَّ اللهَ ﷻ يَبْتَلِي الْعَبْدَ بِالْمَصَائِبِ وَالْحَسَنَاتِ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ وَيُنِيبَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. فَتِلْكَ الْمَصَائِبُ وَالْبَلَايَا تُرْجِعُ الْعَبْدَ إِلَى رَبِّهِ؛ لِيَعْلَمَ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ، وَحَاجَتَهُ لِرَبِّهِ، وَأَنَّهُ فَقِيرٌ إِلَى اللهِ بِذَاتِهِ، وَاللهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

الثَّانِي: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ حَالَ رَخَائِهِ. فَالنِّعَمُ لَا تُبْعِدُهُ عَنْ رَبِّهِ، وَلَا تُقْصِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ حَالَ النِّعْمَةِ شَاكِرٌ مُطِيعٌ لِلَّهِ، خَاضِعٌ لَهُ، مُنْقَادٌ لِأَوَامِرِهِ، مُجْتَنِبٌ لِنَوَاهِيهِ، يَعْرِفُ اللهَ فِي رَخَائِهِ فَيَعْرِفُهُ اللهُ فِي شَدَائِدِهِ، فَيُعِينُهُ عَلَى الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، وَيُعِينُهُ عَلَى تَحَمُّلِ الْمَصَائِبِ، وَيَمْنَحُهُ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، أَوْ: يَا غُلَيِّمُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ

كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

الثَّالِثُ: مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَرْفَعُ الْبَلَايَا وَالْمَصَائِبَ تَقْوَى اللهِ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾.

الرَّابِعُ: صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ. أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ».

الْخَامِسُ: كَثْرَةُ الِاسْتِغْفَارِ. قَالَ اللهُ ﷻ عَلَى لِسَانِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾.

السَّادِسُ: كَثْرَةُ الدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ الرَّخَاءِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ».

عِبَادَ اللهِ: مَا أَكْثَرَ الْفِتَنَ آخِرَ الزَّمَانِ!. أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبَّانَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ». فَالدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءَاتٍ وَمِحَنٍ، وَالْحَصِيفُ مَنْ تَحَرَّزَ لِنَفْسِهِ وَلِدِينِهِ؛ حَتَّى لَا يَقَعَ فِي الْفِتَنِ، وَلِيَنْجُوَ مِنْهَا، فَالدُّنْيَا مَمْلُوءَةٌ بِالْفِتَنِ وَالْبَلَاءِ، حَتَّى كَأَنَّهُ قَدِ انْتَهَى مِنْهَا كُلُّ خَيْرٍ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّرُّ وَالْفِتَنُ وَالْبَلَاءُ كَمَا هُوَ شَأْنُ آخِرِ الشَّيْءِ وَنِهَايَتِهِ عَادَةً، يَذْهَبُ صَفْوُهُ، وَيَبْقَى كَدَرُهُ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْفِتَنِ الَّتِي تَكُونُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا. وَكَانَتْ أَوَائِلُ تِلْكَ الْفِتَنِ بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَمَا وَقَعَتِ الرِّدَّةُ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ اشْتَدَّتِ الْفِتَنُ بِمَقْتَلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمَا حَدَثَ بَعْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَنَشَأَ مِنْ تِلْكَ الْفِتَنِ مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ مِنْ إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، وَتَفَرُّقِ الْقُلُوبِ وَظُهُورِ فِتَنِ الدِّينِ؛ كَبِدَعِ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ، ثُمَّ ظُهُورِ بِدَعِ أَهْلِ الْقَدَرِ وَالرَّفْضِ وَنَحْوِهِمْ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ. وَكُلُّ ذَلِكَ وَقَعَ، وَفِي هَذَا مُعْجِزَةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّحْذِيرِ مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَقَعُ بَعْدَهُ ﷺ.